الجمهورية العربية المتحدة؛

حقائق الوحدة والانفصال

د. إياد حرفوش

الجمهورية العربية المتحدة؛

حقائق الوحدة والانفصال

د. إياد حرفوش

الجمهورية العربية المتحدة: حقائق الوحدة والانفصال

د. إياد حرفوش

الطبعة الإلكترونية: 2014م

دار عروبة للنشر الإلكتروني

© جميع الحقوق محفوظة

حلف بغداد والحلف الثلاثي وإرهاصات الوحدة

أسوء ما يمكن تقديم الوحدة المصرية–السورية به للأجيال المعاصرة، هو تقديمها بأنها كانت مجرد حلم رومانسي فشل على أرض الواقع، كما حاول الكثيرون تقديمها! وهنا نقدم لتلك الأجيال مجموعة الأحداث التاريخية التي مثلت في مجملها الظروف التاريخية لتلك الوحدة، كما مثلت بعضا من أهم دوافعها.

بعد نكبة ١٩٤٨م، شعرت الدول العربية بحجم التهديد الوجودي الذي تتعرض له، فوقعت في ١٧ يونيو (حزيران) ١٩٥٠م ميثاق الضمان الجماعي، والذي نص على الدفاع المشترك ضد أي عدوان على دولة عربية. ومع ذلك لم يجد ذلك الميثاق سبيلا للتفعيل على الأرض. ثم خالفت العراق – الملكية في ذلك الوقت – ورئيس وزرائها اليميني "نوري السعيد" تلك المعاهدة بعد خمس سنوات، عندما أعلنت عن حلف مركزي للدفاع المشترك يضم العراق وتركيا في ٢٤ فبراير (شباط) ١٩٥٥م، وهو ما عرف بحلف بغداد. وانضمت له لاحقا كل من بريطانيا وإيران وباكستان، ليصبح حلفا مواليا للولايات المتحدة

الأمريكية في صراعها ضد الاتحاد السوفيتي خلال الحرب الباردة. وكان الدفاع المشترك ومقاومة ما أسموه "المد الشيوعي في المنطقة" ضمن الأهداف المعلنة لذلك الحلف. وحاول "نوري السعيد" إقناع "جمال عبد الناصر" بدخول الحلف، فرفض "ناصر" بطبيعة الحال، ووقف في القاهرة خطيبا يوم ٣٠ مارس (آذار) ١٩٥٥م يقول:

"**جه نوري السعيد يقول لي: ادخل في حلف معنا ومع تركيا وباكستان، وسندخل نحن في حلف مع أمريكا وإنجلترا وإيران، وبذلك نغطيك أمام الناس! قلت له أنا ثائر مش حاكم، ومش هشتغل بوجهين**"[1] . وكرر عبد الناصر رأيه هذا في ٩ يوليو (تموز) ١٩٥٥م عندما قال رأيه في سياسة الأحلاف بصفة عامة "**دخولنا الأحلاف مع الدول الكبرى هو الحلف بين الذئب والحمل، لابد أن يأكل الذئب الحمل**"[2]. بينما شاركت مصر خلال مؤتمر باندونج في أبريل من نفس العام في تأسيس حركة الحياد الإيجابي وعدم الانحياز. كما استطاعت في العام نفسه عقد حلف دفاعي ثلاثي بين مصر

---

[1] كتاب ثورة عبد الناصر، شوقي عبد الناصر، طبعة الموقف العربي للطباعة والصحافة والنشر. صـ ١١١

[2] المصدر السابق صـ ١٢٤

والسعودية وسوريا[3]، تم توقيعه في ٢٠ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٥٥م ليكون هذا الحلف أول إرهاصات الوحدة بين مصر وسوريا! غير أن السعودية في حالة الوحدة قد خرجت من هذا الإطار لإطار مضاد له كما سيأتي بيانه! وما يهمنا هنا أن مصر وسوريا صارت كل منهما بهذا الحلف في حالة عداء مباشر مع حلف بغداد وأطرافه المختلفة. ثم جاء تأميم قناة السويس في يوليو (تموز) ١٩٥٦م، وأعقبه العدوان الثلاثي الذي بدأت أحداثه في نهاية أكتوبر من نفس العام، ووقف عبد الناصر في التاسع من نوفمبر (تشرين ثاني) في القاهرة يقول:

"أظهرت المعركة أن شرف الأمة العربية لا يتجزأ، وأن العدوان على دولة عربية هو عدوان على الأمة العربية كلها. رغم الدعايات الكاذبة. رغم الأباطيل. يوم العدوان اتصل بي الملك سعود تليفونيا وقال لي إن جيش المملكة السعودية تحت تصرفنا، وأن أموال المملكة تحت تصرفنا، وإن السعودية مستعدة لعمل أي شيء نطلبه منها. وفي نفس اليوم اتصل بي الملك حسين وقال إن الجيش الأردني

---

[3] المصدر السابق صـ ١٨٧

مستعد لأي أمر تراه القيادة المشتركة، وإن الأردن متعاون معنا كل التعاون. في ذات اليوم اتصل بي الرئيس شكري القوتلي وعرض فتح جبهة ثانية للتخفيف عن مصر. إن القومية العربية لم تعد كلاما يقال، أصبحت عملا فعالا!"

نلاحظ هنا حالة المد القومي عامة، وحالة العرض السوري الذي كان الأكثر جدية وفقا لما قاله "عبد الناصر" في خطابه. وتزيد أهميته حين نعرف أن الضابط السوري "عبد الحميد السراج" قام بالفعل مع مجموعة من رفاقه في الجيش العربي السوري بتدمير خط التابلاين الذي ينقل بترول العراق الخام لموانيء المتوسط عبر الأراضي السورية في اليوم التالي لعدوان فرنسا وإنجلترا على مصر! لقد انتقلت سوريا من العرض اللفظي للتنفيذ الفعلي بفتح جبهة جديدة بتهديد الغرب في مصالحه النفطية المباشرة! وهي خطوة شديدة الجرأة والفاعلية في الرد على العدوان الثلاثي على مصر.

مبدأ آيزنهاور والقمة الرباعية

مبدأ آيزنهاور لملء الفراغ أو (**Eisenhower Doctrine**) هو المبادرة التي طرحها الرئيس الأمريكي "دوايت آيزنهاور" في ٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٥٧م، ويقوم على تقديم الولايات المتحدة المساعدة العسكرية لأي دولة من دول الشرق الأوسط التي خرج منها الاستعمار البريطاني والفرنسي، في حالة تعرض تلك الدولة لخطر أو تهديد من الاتحاد السوفيتي أو الدول المتحالفة معه. هذا المبدأ "غير-المبدأي" الذي أقرته الولايات المتحدة يعني وصاية وتبعية تفرض على دول المنطقة. لهذا دعا "عبد الناصر" لعقد قمة رباعية في مصر، وعقدت في القاهرة في ٢٥ فبراير (شباط) ١٩٥٧م بحضور كل من مصر، وسوريا، والسعودية، والأردن. واتفقت الأطراف الأربعة على تعزيز التعاون العسكري بينها، ورفض مبدأ آيزنهاور من حيث المضمون، والعمل على مواجهته عمليا. وهو الاتفاق الذي وضع موضع التنفيذ خلال أزمة سوريا في منتصف عام ١٩٥٧م، ثم أزمة لبنان في العام التالي مباشرة، ضمن أحداث بداية الجمهورية العربية المتحدة (يأتي بيان الأزمة اللبنانية لاحقا). لكن

الأحداث السياسية المتلاحقة في مصر وسوريا تحديدا جعلتهما العدو الأكبر للولايات المتحدة في المنطقة! وجعلت التقارب بينهما – والذي تم تتويجه بالوحدة العضوية رغم اعتراض عبد الناصر عليها في البداية –صيرورة طبيعية للأحداث المتلاحقة.

مصر وسوريا بمواجهة الولايات المتحدة

في ١٩٥٦م حصلت مصر على صفقة الأسلحة الروسية (عرفت إعلاميا في وقتها بالأسلحة التشيكية) التي وقعت اتفاقا للحصول عليها في عام ١٩٥٥م! وصرح "عبد الناصر" بهذا علنيا! كما حصلت مصر على دعم السوفيت في بناء السد العالي، وهذا تحدد موقف مصر المضاد لنفوذ الولايات المتحدة، رغم التزام مصر – وحتى وفاة عبد الناصر وبدايات عصر السادات – بعدم توقيع اتفاقية الصداقة والتعاون مع السوفيت، التزاما بمنهج عدم الانحياز الذي أسسته. بالتزامن مع هذا،

جرت وقائع أزمة ١٩٥٧ في سوريا[4]. فقد وقعت سوريا في ١٩٥٧م عقد إقامة مصفاة بترول مع شركة تشيكية! وهو القرار الذي شكل كسرا لاحتكار المعسكر الغربي لمشاريع النفط في الشرق الأوسط! وفي ٦ أغسطس (آب) من العام نفسه وقع وزير الدفاع "خالد العظم" اتفاقية سلاح مع الاتحاد السوفيتي! وهو ما دفع المبعوث الأمريكي للشرق الأوسط "لوي هندرسون" للقول بأن سوريا تدور في فلك الاتحاد السوفيتي. ووصلت الأزمة للذروة عندما حذر الاتحاد السوفيتي القادة السوريين من رصده لحشود تركية على الحدود السورية، ولمخطط أمريكي لضرب سوريا من خلال تحالف تركي إسرائيلي، ولهذا قبلت سوريا دعم السوفيت بإرسال بارجتين حربيتين لميناء اللاذقية. وأعلن الدب الروسي أنه لن يقف مكتوف الأيدي. وفي الوقت نفسه، وعملا بمقتضيات اتفاقية الدفاع المشترك المصرية السورية السعودية، أرسلت مصر وحدات عسكرية إلى شمال سوريا، لتفهم تركيا أنها بالعدوان على شمال سوريا تدخل في حرب مع سوريا ومصر في وقت واحد، ووقف "جمال عبد

---

4 وقائع الأزمة السورية من واقع كتاب "سوريا والولايات المتحدة: حرب أيزنهاور الباردة في الشرق الأوسط" للأمريكي ديفيد ليتش.

الناصر" في ٨ سبتمبر (أيلول) يعلن قائلا: "**سنقف إلى جانب سوريا بغير حدود، وبدون قيد أو شرط**". لقد جمعت الأزمة مصر وسوريا سويا، أزمة الصلف الأمريكي ورفض الولايات المتحدة لأن تقيم المنطقة علاقات متوازنة مع الشرق والغرب. وخرجت كل من سوريا ومصر أكثر قوة، وكتب الأستاذ "محمد حسنين هيكل" في مقاله اليومي بالأهرام مقالا أوجز فيه وقائع الأزمة ونتائجها، حين كتب:

يمكن أن يقال الآن، إن ما حاولوا أن يطلقوا عليه اسم "أزمة سوريا" قد انتهى أمره! انتهى أمره تماماً ولم يبق أمام الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن تبدأ تقهقراً طويلاً جديداً، على طريق تراجعها المستمر – حتى الآن – فى الشرق الأوسط. لقد افتعلت أمريكا افتعالاً – بعد أن فشلت مؤامرة الغزو من الداخل – ما أسموه "أزمة سوريا" ، ولم تكن "أزمة سوريا" أولى الأزمات التى افتعلتها أمريكا، ولن تكون آخرها. والمهم أنه فى هذه الأزمة، كما فى كل أزمة مفتعلة سبقتها، لم يجد جون فوستر دالاس، وزير خارجية الولايات المتحدة مفراً – فى نهاية الأمر وخاتمة المطاف – غير أن يستعيد من التاريخ

مشهد نابليون عائداً من موسكو التى أكلتها النيران متقهقراً بفلول جيشه الذى كان فى يوم من الأيام زهرة شباب فرنسا – عبر سهول لا نهاية لها من الجليد، إلى حيث لا شرف ولا مجد ولا انتصار! أقامت أمريكا الدنيا وأقعدتها على سوريا. وأطلقت عليها عاصفة هوجاء من الدعايات والاتهامات. ثم تجاوزت الدعايات والاتهامات إلى حد تحريك الأساطيل، وعقد المؤتمرات فى استانبول. وفجأة، فى الدقيقة الستين، من الساعة الرابعة والعشرين، اكتشفت أمريكا أنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً ضد سوريا.. أى شىء! لا تستطيع أن تفعل شيئاً ضد سوريا.. لا بنفسها، ولا بالوساطة، عن طريق تحريض أصدقائها من جيران سوريا كما كانت نظرية جون فوستر دالاس! إن مجرد تحرك أمريكا بنفسها ضد سوريا كفيل بأن يشعل فى المنطقة كلها نيرانا متأججة لا تستطيع قوة على الأرض أن تتحكم فى مدى انتشارها.. هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، فإن الحركة بالوساطة، عن طريق تحريض الجيران، وهو ما حاوله جون فوستر دالاس فى مؤتمر استانبول الذى أرسل إليه لوي هندرسون مبعوثاً خاصاً ومندوباً فوق العادة يتكلم باسمه – أثبتت بعد البحث والتدقيق

عدم جدواها، فلقد عرف لوي هندرسون فى استانبول، ما كان يستطيع فوستر دالاس أن يعرفه فى واشنطن، لو أنه فكر وقدر، وأحسن التفكير والتقدير. إن سوريا تملك ضد جيرانها أكثر مما يملك جيران سوريا ضدها. هذه حقيقة كان دالاس يستطيع اكتشافها من مكتبه فى واشنطن لو أنه ألقى نظرة سريعة – ولكن ذكية – على أى خريطة للشرق الأوسط. سوريا تملك ضد العراق – مثلاً – أكثر مما يملك العراق ضد سوريا، فعن طريق سوريا يتدفق بترول العراق إلى البحر، ولو توقف تدفقه لكان معناه أن يتوقف الاقتصاد العراقى فى نفس الثانية. وسوريا تملك ضد لبنان أكثر مما يملك لبنان ضد سوريا، ذلك أن سوريا تحيط بلبنان من جميع نواحيه، فإذا أقفلت سوريا حدودها مع لبنان، فإن الأبواب جميعاً تقفل أمام لبنان ولا يصبح له مع العالم إلا بابان: البحر أو إسرائيل. وسوريا تملك ضد الأردن أكثر مما يملك الأردن ضد سوريا، فعن طريق سوريا يصل الأردن إلى البحر، فإذا استحال على الأردن أن يصل إلى البحر الأبيض، فليس أمام صاحب الجلالة الهاشمية ملك الأردن، إلا أن يشرب مياه خليج العقبة حتى آخر قطرة فيها! وسوريا تملك

ضد السعودية أكثر مما تملك السعودية ضدها، فسوريا مرة ثانية طريق البترول السعودى إلى أسواقه، ثم هى كذلك طريق التجارة. ماذا بقى من جيران سوريا إذن؟

تركيا.. أو إسرائيل مثلا!! هذا إذا تصورنا أن حكومات هذه الدول العربية جميعاً سوف تأتمر بأمر دالاس، وإذا تصورنا أيضاً – وهذا هو الأهم – أن شعوب هذه الدول سوف تترك حكوماتها حرة تأتمر بأمر دالاس. أما تركيا فلا تستطيع أن تتحرك ضد سوريا، فإذا تحركت فإن معنى ذلك أنها تدير ظهرها للحدود الروسية.. وإذن فإن القط التركى لا يستطيع التقدم فى اتجاه سوريا بسبب الدب الروسى القابع وراء ظهره. تبقى إسرائيل، وإسرائيل لها حدود مشتركة مع سوريا، ولكن لها أيضاً حدود مشتركة مع مصر! واكتشف جون فوستر دالاس هذا كله، أو اكتشفه له مبعوثه إلى استانبول، واكتشف معه، وفى الوقت نفسه، أنه ليس أمام دالاس، إلا أن يتنكر فى زى نابليون، فى أحلك ساعات تاريخ نابليون،

ويتراجع أمام دمشق، عبر صحراء هجيرها أقسى من لسعة الجليد، إلى حيث لا شرف، ولا مجد، ولا انتصار![5]

ينتهي مقال الأستاذ "هيكل"، لتتضح لنا أهمية وحيوية الدور الذي لعبته سوريا في كسر الصلف الأمريكي، وإلى التقارب الحتمي بين مصر وسوريا بعد عقد الأولى صفقة السلاح الشرقي وتمويل السد من السوفييت، وعقد الثانية صفقة عسكرية مشابهة وعقود مصفاة نفط مع تشيكوسلوفاكيا! كسرت مصر وسوريا احتكار الغرب لتوريد السلاح في الشرق الأوسط! وكسرت احتكار مشروعات البنية التحتية والنفط!! من هنا تبدأ حتميات وتداعيات أدت للوحدة، بعيدا عن شكل الوحدة العاطفية غير المتأنية الذي صوره عمل درامي مثل مسلسل "صديق العمر" مثلا.

---

5 جريدة الأهرام، مقال بصراحة، عدد ٢٩ أغسطس ١٩٥٧م، محمد حسنين هيكل

الجيش السوري والحياة السياسية

قبل أن نبدأ في تناول مفاوضات الوحدة المصرية السورية، يتعين علينا أن نوضح الدور المحوري الذي لعبه الجيش السوري في الحياة السياسية، فقد تدخل الجيش السوري "تسع مرات" في غضون واحد وعشرين عاما فقط! منها ثلاثة في عام واحد! على أن استخدامنا لتعبير "الانقلاب" لا يجب أن يفهم منه أنها كانت جميعا غير مدعومة بإرادة شعبية، فمنها ما كان صدى لإرادة شعبية ومنها ما كان غير ذلك. وبيانها كما يلي:

(١) انقلاب "حسني الزعيم" في ٣٠ مارس (آذار) ١٩٤٩م، والذي أطاح برئيس الجمهورية "شكري القوتلي" ورئيس وزرائه "خالد العظم" وتحفظ عليهما مؤقتا، قبل أن يختار "القوتلي" الإسكندرية مقرا لمنفاه المؤقت. وقد كانت لحسني الزعيم علاقة بالمخابرات الأمريكية وكان تأخر موافقة "شكري القوتلي" على مد خط التابلاين عنصرا محوريا في

الانقلاب عليه. وكان "الزعيم" كذلك على علاقة طيبة جدا بالملكين "فاروق"، و"عبد العزيز آل سعود".

(٢) انقلاب "سامي الحناوي" في ١٣ أغسطس (آب) ١٩٤٩م، والذي أطاح بحسني الزعيم واعتقله. وجاء تحرك الجيش مؤيدا لحالة من السخط الشعبي على حكومة "حسني الزعيم". وكان "الحناوي" من المطالبين بعلاقات وحدة اقتصادية مع العراق.

(٣) انقلاب "أديب الشيشكلي" في ١٩ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤٩م، واعتقال "الحناوي" بطبيعة الحال. لكنه حافظ على الدستور وحافظ على الرئيس "هاشم الأتاسي" في منصبه. وكان "الشيشكلي" رافضا لفكرة الوحدة الاقتصادية مع العراق.

(٤) انقلاب "أديب الشيشكلي" الثاني في ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥١م، وقد قام به اعتراضا على تكليف "ناظم القدسي" بتشكيل الوزارة، وتقارب هذا الأخير مع العراق بهدف الإعلان عن وحدة معها.

وتمت على إثره استقالة الرئيس "الأتاسي" وتولي الجيش مقاليد السلطة مباشرة، بعد تعيين "فوزي السلو" قائدا عاما للجيش.

(٥) انقلاب "فيصل الأتاسي" في ٢٥ فبراير ١٩٥٤م، وكان مركز الانقلاب في المحافظات الشمالية بينما بقيت العديد من القطاعات العسكرية موالية للشيشكلي، غير أنه فضل حفظا لوحدة القوات أن يستقيل ويغادر سوريا. وقد أعاد الانقلاب الرئيس السابق "هاشم الأتاسي" للسلطة، حتى انتهت ولايته في ١٩٥٥م، لينتخب الرئيس "شكري القوتلي" رئيسا من جديد.

(٦) انقلاب "عبد الكريم النحلاوي" في ٢٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٦١م على دولة الوحدة، وإعلان الانفصال، وسيأتي تفصيله لاحقا. ثم قيامه في مارس (آذار) ١٩٦٢م بتحرك عسكري جديد لإقالة الحكومة التي شكلت بعد الانفصال!!

(٧) ثورة الثامن من آذار ١٩٦٣م، ويسميها خصوم البعث انقلابا. قام بها الضباط البعثيون بقيادة "حافظ الأسد" و"محمد عمران"

و"صلاح جديد"، وقد وصل حزب البعث العربي الاشتراكي من خلالها للسلطة. وكانت العودة للوحدة مع مصر أحد الأهداف المعلنة لتلك الحركة.

(٨) انقلاب ٢١ فبراير (شباط) ١٩٦٦م، وبه أطاح الضباط السوريون بالقيادات التاريخية المدنية لحزب البعث (ميشيل عفلق وصلاح البيطار) وتم نفيهما لخارج البلاد. ومع ذلك بدأت جولة جديدة من الصراع داخل حزب البعث.

(٩) الحركة التصحيحية في ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠م، قام بها وزير الدفاع "حافظ الأسد" ورئيس الأركان "مصطفى طلاس"، وتمكن "الأسد" بعدها من إنهاء مسلسل الأزمات السياسية في سوريا لعدة عقود حتى وفاته.

لعلنا نفهم الآن عدة أمور من هذا العرض، حتى قبل تناولنا لأحداث ووقائع الوحدة ثم الانفصال؛

أولا: لم يكن عمر الوحدة مع مصر قصيرا، مقارنة بما سبقه وما لحقه من ظروف سياسية مرتبكة في سوريا، ومن حالة تسييس كاملة للجيش السوري وقتها. حيث كان لكل حزب أو فصيل سياسي ضباطه –وأحيانا قطاعاته العسكرية – التي تدين له بالولاء.

ثانيا: لم تكن الاضطرابات داخل الجيش السوري وليدة الوحدة أو عمليات الدمج بين الجيشين المصري والسوري كما زعم البعض!! فتلك الاضطرابات ترجع بجذورها لقرابة عقدين قبل إعلان الوحدة.

ثالثا: كان للجيش السوري في العقود السبعة الأولى من القرن العشرين طبيعة شديدة الخصوصية! لا يجوز إسقاط ما نعرفه عن الجيش المصري مثلا عليها. وعلينا أن نفهم تلك الطبيعة وفقا لخصوصيتها ودون القياس على غيرها.

مفاوضات الوحدة

كان للعدوان الثلاثي على مصر في نهايات ١٩٥٦م، وتهديد دول حلف بغداد ممثلة في تركيا للحدود السورية منتصف عام ١٩٥٧م دلالة حاسمة؛ الغرب لن يقف مكتوف الأيدي ولن يسمح لمصر وسوريا بالتحول لنهج تقدمي وبناء مجد عربي معاصر دون أن يكون حجر عثرة في هذا الطريق. هذا التهديد كان داعيا في حد ذاته للتكتل والتوحد. وتوجهت عيون الشعبين نحو الرئيس "جمال عبد الناصر" لأن تصريحات الرئيس الأمريكي "دوايت آيزنهاور" وجون فوستر دالاس وزير خارجيته قد شخصت القضية العربية في شخص "عبد الناصر" عندما أكثروا الحديث عن "**خطورة منهج عبد الناصر**" و"**حصار منهج عبد الناصر**". وعندما خرج "عبد الناصر" من العدوان الثلاثي منتصرا، بصمود نضالي من الشعب المصري بقيادته في الحرب، وبنصر حاسم على بريطانيا وفرنسا بعد نجاحه في الحصول على الإنذارين السوفيتي ثم الأمريكي. وانسحاب القوات المعتدية من سيناء! وعزز هذا موقفه الإيجابي من الأزمة السورية. بدأت الوفود السورية تتوالى على بيت

الرئيس المصري للحديث حول الوحدة. وفي ١٨ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٥٧م اجتمع البرلمان السوري، ليخرج بتوصيات للحكومة بالشروع في مفاوضات الوحدة بين البلدين. ويرسل رسالة إلى مجلس الأمة المصري، رد عليها مجلس الأمة برسالة رقيقة لم تحسم الأمر.

عندما بدأت اللقاءات بات واضحا أن الرئيس "جمال عبد الناصر" والجانب المصري يرى وجوب بناء مصر سياسيا واقتصاديا أولا لتكون قاعدة للنضال العربي! وتأجيل خطوة الوحدة. يؤيد هذا الرأي القائل بالتأجيل اختلاف الحياة السياسية في القطرين، فمصر تتبنى نظام الحزب الواحد (الاتحاد القومي وقتها)، بينما هناك العديد من الأحزاب القوية والفاعلة في سوريا وفي مقدمتها حزب الكتلة الوطنية (هاشم الأتاسي وشكري القوتلي)، وحزب الشعب (رشدي الكيخيا وناظم القدسي)، وحزب البعث (ميشيل عفلق وصلاح البيطار) والحزب الشيوعي السوري (خالد بكداش). وكذلك اختلاف القوانين الاقتصادية في البلدين. فمصر قد طبقت الإصلاح الزراعي منذ سنوات وتستعد لخطوات تالية في مضمار التحول الاشتراكي بينما سوريا لم تحقق

خطوات بهذا الاتجاه، وإن كان التحول الاشتراكي مطلبا جماهيريا فيها كذلك. أما من يطالبون بالوحدة العضوية، وكانوا بالأساس من العسكريين السوريين والبعثيين، فيرون أن عدة انقلابات قد وقعت في سوريا وبعضها كان يهدف لتغيير موقف سوريا من سياسة الأحلاف والدخول بها في تجربة وحدة مع العراق! وهو الأمر الذي يؤيده حزب الشعب اليميني المحافظ. وقد كانت الوحدة الاقتصادية أو الوحدة العضوية مع العراق كهاجس لليمين المحافظ في سوريا، مقابل التيارات القومية والتقدمية، والصراع بينهما، سببا محوريا في الأزمات السياسية المتعاقبة. ولن يحسم هذا بغير الوحدة مع مصر.

بقي النقاش مستمرا حتى جاء في ١٤ يناير (كانون الثاني) للقاهرة وفد عسكري سوري مكون من ٢٢ قيادة عسكرية سورية. لم يكن الموعد مرتبا ولهذا كان "عبد الناصر" مع ضيفه "سوكارنو" في الأقصر، فالتقوا بالمشير "عامر"، وفي اليوم التالي التقوا بالرئيس في بيته بمنشية البكري في الثامنة مساء، فأبدى لهم الرئيس هواجسه ورأيه في بناء قاعدة النضال العربي في مصر أولا. وسألهم عندما ألحوا في الحديث عن

الوحدة: "**أريد أن أتكلم معكم بوضوح، وأنا أعرفكم جميعاً وأعرف حسن مقاصدكم، ولكنى أريد أن أسألكم سؤالاً واحداً: ما هي صفتكم في الحديث معي عن هذا الأمر، وأنتم غير مسئولين؟ هل يعرف شكري القوتلي أنكم هنا تتحدثون معي في ذلك كله؟**" وأجابوه بأنهم سوف يرسلون "أمين النفوري" للرئيس "القوتلي" برأي الجيش، وأن هذا الرأي سيكون ملزما له! **كان رأي الرئيس "عبد الناصر" أن مصر وسوريا بحاجة لخمس سنوات من التمهيد للوحدة، بحيث تعد لها الظروف المواتية سياسيا واقتصاديا وشعبيا**[6]. لكنهم أقنعوا الرئيس خلال النقاش بوجهة نظرهم حول خطورة الوضع في سوريا، ووجود ظهير قوي لسياسة الأحلاف قد يوجه سوريا لعكس الوجهة القومية التقدمية. وهذا وافق "عبد الناصر" على الوحدة العضوية، واشترط أن تحل الأحزاب السورية نفسها. وحلت الأحزاب السورية نفسها بالفعل عدا الحزب الشيوعي (ترك زعيمه خالد بكداش سوريا يوم إعلان الوحدة). فقد كان البعث يرى في تحقق الوحدة

---

6 مقال "هجوم الربيع الذي نجح في الخريف"، محمد حسنين هيكل، الأهرام في ٦ أكتوبر ١٩٦١م، ومقال ما الذي جرى في سوريا، محمد حسنين هيكل، الأهرام في ٢٠ أكتوبر ١٩٦١م

العضوية تحقيقا لرؤيته السياسية. وكان المحافظون في حزب الشعب يأملون في الحد من قدرات الأحزاب التقدمية واليسارية متنامية القوة. وصل وزير الخارجية "صلاح البيطار" في ١٧ يناير إلى مصر لإتمام المفاوضات، وأكد نية الأحزاب السورية الرئيسية حل نفسها! وفي أول فبراير (شباط) عام ١٩٥٨م، وبعد اجتماع الرئيسين "القوتلي" و"عبد الناصر"، مع رموز الدولتين في قصر القبة، صدر أول إعلان رسمي للوحدة، وجاء فيه؛

في جلسة تاريخية عقدت في القبة في القاهرة في ١٢ من رجب سنة ١٣٧٧هـ الموافق أول فبراير (شباط) سنة ١٩٥٨م، اجتمع فخامة الرئيس شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية وسيادة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر بممثلي جمهوريتي سوريا ومصر السادة: صبري العسلي، عبد اللطيف البغدادي، خالد العظم، زكريا محي الدين، حامد الخوجة، أنور السادات، فاخر الكيالي، مأمون الكزبري، حسين الشافعي، أسعد هارون، الفريق عبد الحكيم عامر، صلاح الدين البيطار، كمال الدين حسين،

خليل الكلاس، نور الدين طراف، صالح عقيل، فتحي رضوان، اللواء عفيف البزري، كمال رمزي استينو، علي صبري، عبد الرحمن العظم، محمود رياض. وكانت غاية هذا الاجتماع أن يتداولوا في الإجراءات النهائية لتحقيق إرادة الشعب العربي، ولتنفيذ ما نص عليه دستورا الجمهوريتين من أن شعب كل منهما جزء من الأمة العربية. لذلك تذاكروا ما قرره مجلس الأمة المصري ومجلس النواب السوري من الموافقة الإجماعية على قيام الوحدة بين البلدين، كخطوة أولى نحو تحقيق الوحدة العربية الشاملة. كما تذاكروا ما توالى في السنين الأخيرة من الدلائل القاطعة على أن القومية العربية كانت روحاً لتاريخ طويل ساد العرب في مختلف أقطارهم، ولحاضر مشترك بينهم، ومستقبل مأمول من كل فرد من أفرادهم. وانتهوا إلى أن هذه الوحدة هي ثمرة القومية العربية وهي طريق العرب إلى الحرية والسيادة، وسبيل من سبل الإنسانية للتعاون والسلام. ولذلك فإن من واجبهم أن يخرجوا بهذه الوحدة من نطاق الأماني إلى حيز التنفيذ، بعزم ثابت وإصرار قوي. ثم خلص المجتمعون من هذا كله إلى أن عناصر الوحدة بين الجمهوريتين المصرية والسورية

وأسباب نجاحها، قد توافرت بعد أن جمع بينهما في الحقبة الأخيرة كفاح مشترك زاد معنى القومية وضوحاً، وأمد أنها حركة بناء وتحرير وعقيدة وتعاون وسلام. لذلك يعلن المجتمعون اتفاقهم التام وإيمانهم الكامل وثقتهم العميقة في وجوب توحيد سوريا ومصر في دولة واحدة اسمها الجمهورية العربية المتحدة. كما يعلنون اتفاقهم الإجماعي على أن يكون نظام الحكم في الجمهورية العربية المتحدة ديمقراطياً رئاسياً، يتولى فيه السلطة التنفيذية رئيس الدولة، يعاونه وزراء يعينهم ويكونون مسؤولين أمامه. كما يتولى السلطة التشريعية مجلس تشريعي واحد. ويكون لهذه الجمهورية علَم واحد، يُظل شعباً واحداً وجيشاً واحداً، في وحدة يتساوى فيها أبناؤها في الحقوق والواجبات، ويدعون جميعاً لحمايتها بالمهج والأرواح، ويتسابقون لتثبيت عزتها وتأكيد منعتها. وسيتقدم كل من فخامة الرئيسين شكري القوتلي وجمال عبد الناصر ببيان إلى الشعب يلقى أمام مجلس النواب السوري ومجلس الأمة المصري، في يوم الأربعاء ١٦ من رجب سنة ١٣٧٧ الموافق ٥ من فبراير سنة ١٩٥٨، يبسطان فيه ما انتهى إليه هذا الاجتماع من قرارات، ويشرحان أسس الوحدة

التي تقوم عليها دولة العرب الفتية. كما سيدعى الشعب في مصر وسوريا إلى استفتاء خلال ثلاثين يوماً على أسس الوحدة وشخص رئيس الجمهورية. والمجتمعون إذ يعلنون قراراتهم هذه، يحسون بأعمق السعادة وأجل ألوان الفخر، إذ شاركوا في الخطوة الإيجابية في طريق وحدة العرب حقبة بعد حقبة وجيلاً بعد جيل. والمجتمعون إذ يقررون وحدة البلدين، يعلنون أن وحدتهم تتوخى جمع شمل العرب، ويؤكدون أن باب الوحدة مفتوح لكل بلد عربي يريد أن يشترك معها في وحدة أو اتحاد يدفع عن العرب الأذى والسوء، ويعزز سيادة العروبة ويحفظ كيانها. والله نسأل أن يكلأ هذه الخطوة وما يتلوها من خطوات بعين رعايته الساهرة، وبفضل عنايته الثابرة، وأن يكتب للعرب في ظل هذه الوحدة العزة والسلام.[7]

---

[7] الأهرام في ٢ فبراير ١٩٥٨

وولدت الجمهورية العربية المتحدة

ويصدر في الخامس من فبراير (شباط) بيان من ١٧ نقطة يحدد ملامح الوحدة، ثم يجري الاستفتاء في مصر وسوريا على الوحدة في ٢١ فبراير (شباط)، وتعلن النتيجة بموافقة الشعبين في ٢٢ فبراير، ويوقع الرئيسان ميثاق الجمهورية العربية المتحدة، وبعد التوقيع يتكلم الرئيس السوري (أصبح بعد التوقيع رئيسا سابقا)، ليقول للرئيس "عبد الناصر" نصا كلمته الشهيرة: "**أنت لا تعرف ماذا أخذت يا سيادة الرئيس! أخذت شعباً يعتقد كل من فيه أنه سياسي! ويعتقد خمسون في المائة من ناسه أنهم زعماء، وخمسة وعشرون بالمائة منهم أنهم أنبياء، وهناك عشرة في المائة على الأقل يعتقدون أنهم آلهة**". فأجابه الرئيس "عبد الناصر" قائلا وهو يبتسم: "**ولماذا لم تخبرني بهذا قبل التوقيع؟**"

وفي ٥ مارس (آذار) يصدر دستور الجمهورية العربية المتحدة. ويتم توحيد العلم والنشيد الوطني والعملات. ويسافر الرئيس "عبد الناصر" إلى دمشق للمرة الأولى رئيسا لها!! وتستقبله الجماهير هناك بالاستقبال

الأسطوري الذي فاق حتى شعبيته واستقبال الناس له في القاهرة والإسكندرية!! وانطلقت المسيرة، ولكن .. كان طريقها حافلا بالعقبات.

منذ يومها الأول بدأت الحرب ضدها، فأذاع راديو بغداد "**إن الوحدة بين مصر وسوريا لا تعدو أن تكون تسلطاً مصرياً على سوريا**"، وقال راديو عمان "**إن هذا الذى تم بين مصر وسوريا ليس وحدة، وإنما هو ابتلاع قامت به مصر لسوريا**". تلك اللهجة التي تبناها خصوم الوحدة منذ اليوم الأول، وقبل أي ممارسات مزعومة من قبل الزعيم ورجاله، هي نفس اللغة التي يرددها اليوم أعداء القومية العربية!

الاتحاد الهاشمي: العراق والأردن

ووحدة الشهور الخمسة

رأت الأنظمة التقليدية في الوطن العربي أن الوحدة وقيام الجمهورية العربية المتحدة يمثل تحديا هائلا لها. لم يكن هذا أمرا تكنه الصدور، بل كان كلاما يقال ويكتب. وفي هذا السياق كتب رئيس الوزراء العراقي السابق "فاضل الجمالي" مقالا بعنوان "تحدي أم اتحاد"، معلقا على البيان الصادر حول الوحدة في ٥ فبراير (شباط) ورد عليه "هيكل" وقتها بمقال عنوانه "أضيئوا شمعة" نشرته الأهرام في ٩ فبراير (شباط) ١٩٥٨م، ودعا فيه "هيكل" العراق وساستها للعمل على تجربة اتحادية مع الأردن، لما بينهما من مشتركات تساعد على الوحدة، وكتب فيه الأستاذ "هيكل": "**ولربما كان نظام العراق الحاكم لا يعجبه اتحاد مصر وسوريا، ومع ذلك فلماذا لا يجرب العراق اتحاداً آخر يعجبه! إن المجال مفتوح والفرصة سانحة. لماذا لا يحاول العراق مثلاً أن يوحد العراق والأردن؟ إنهما شعب واحد، وبلد واحد، بل وأسرة حاكمة واحدة هي الأسرة الهاشمية. فما الذي يمنعهما من الوحدة، والاندماج معاً؟ إن الرأي العام في الجمهورية العربية المتحدة لن يلعن الاتحاد الجديد، العراقي والأردني ولن يعتبره تحدياً. إنما سيعتبره خطوة مباركة عظيمة. وإنما سيعتبره تعاوناً إيجابياً كريماً. إن الرأي العام العربي**

كله سيرحب باتحاد العراق والأردن، إن الرأي العام العربي، يريد أن يرى قوة العراق على حدود إسرائيل. والرأي العام العربي، يريد أن يشعر أن إمكانيات البترول العراقي تسند خط الحدود الطويل بين الأردن وإسرائيل. إنها أمنية لا يجب أن تقف في طريقها عقبات .. حتى مشكلة العرش يمكن أن يكون لها حل. ما الذي يمنع – مثلاً – أن يتناوب الملكان فيصل وحسين عرش الدولة الهاشمية المتحدة الجديدة؟ ما الذى يمنع – مثلاً – أن يصبح فيصل ملكاً عليها، وحسين ولياً لعهده. وستكون القاهرة ودمشق ساعتها أول من يرفع الرايات ويدق الطبول ويهتف من قلبه! هذا اتحاد وليس تحدياً... هذا للعرب مهما طال المدى وليس ضد العرب... هذا لنا، وليس – مهما حاولوا – علينا. ووحدة عمان وبغداد – إذا تحققت – اتحاد وليست تحدياً. وكذلك كل وحدة، في أي مكان، بأي شكل، بواسطة أي شخص، حتى ولو كان نورى السعيد سيوقعها عن العراق، وسمير الرفاعي سيوقعها عن الأردن. سنباركها ونقول: لا

يهم ... سيذهب نوري السعيد يوماً، وسيذهب سمير الرفاعي، ولكن الوحدة ستبقى للعرب"[8]

ولأن مصر كانت في هذه المرحلة قاطرة العالم العربي، فقد صدق ما نشرته الأهرام في التاسع من فبراير نصا! فقد طار "فيصل الثاني" ملك العراق للأردن بعد ذلك المقال بيومين. وبدأت مفاوضات الوحدة التي انتهت بالإعلان عن "الاتحاد العربي" الذي يعرف تاريخيا بالاتحاد الهاشمي (نسبة للبيت الهاشمي الذي ينتسب له ملكا البلدين)، وأعلن عنه رسميا في ١٤ فبراير (شباط) ١٩٥٨م، ونص الاتفاق – تماما مثل بيان الجمهورية العربية المتحدة الصادر قبله بعشرة أيام – على أن عضوية الاتحاد مفتوحة أمام الدول العربية جميعها في شكل اتحاد كونفدرالي. وتم توقيع الاتفاق في ١٧ فبراير، وأصبح ملك العراق "فيصل الثاني" رئيسا للاتحاد العربي، وتم تشكيل وزارة مشتركة يرأسها العراقي "نوري السعيد". لكن هذا الاتحاد لم يدم لأكثر من خمسة

---

8 الأهرام في ٩ فبراير ١٩٥٨م، مقال "أضيئوا شمعة"، ١٥ فبراير مقال "أضيئت شمعة" محمد حسنين هيكل.

أشهر، حيث وقع الانقلاب العسكري في العراق في ١٤ يوليو (تموز) ١٩٥٨م لينتهي به هذا الاتحاد الملكي!!

وتعليقا على قيام العراق والأردن بهذا الاتفاق على خلفية الوحدة المصرية السورية، لنا عدة ملاحظات؛

- العمل السياسي الفاعل هو ما يستدعي عملا مضادا فوريا من خصمك السياسي، وقيام هذا الاتحاد هو الدليل الأوضح على مدى فاعلية الجمهورية العربية المتحدة كتحرك سياسي قامت به مصر وسوريا في الخمسينات.
- رغم توافر إمكانات اندماجية أكبر لوحدة العراق والأردن، أهمها وحدة الأراضي واتصالها بوجود حدود مشتركة، ووحدة النظام السياسي والنسق الاقتصادي في البلدين، والبيت الحاكم الهاشمي الواحد كما قال هيكل، كان عمر الاتحاد أقصر بكثير من عمر الجمهورية العربية المتحدة. ومع ذلك لا يجلد العراقي والأردني أنفسهم على تلك المرحلة من تاريخهم كما يفعل المصري والسوري اليوم!!!

- جاءت الوحدة المصرية–السورية ردا مباشرا على مؤتمر حلف بغداد الذي عقد في استانبول قبيل قيامها، وشكل تهديدا مباشرا لسوريا. وقام الاتحاد الهاشمي كرد مباشر على قيام الوحدة المصرية السورية. هذا السجال. وقد نجحت الوحدة المصرية–السورية في إضعاف ثم إسقاط حلف بغداد! وردت القوى الرجعية في المنطقة بإسقاط الوحدة نفسها!

في النهاية، على من يشكك في نجاعة الوحدة المصرية السورية كحراك سياسي في حينها وسياقها الزمني والتاريخي، مطالعة الوثائق البريطانية حول حلف بغداد ثم الاتحاد الهاشمي[9]! ليكتشف كيف كانت بريطانيا والمعسكر الغربي معنية بتكتل الأنظمة الملكية الموالية لها، وكيف سعت سعيا محموما لقيام الاتحاد بين العراق والأردن، وحاولت بالتعاون مع الولايات المتحدة أن تكون السعودية ضمن هذا التحالف، ولكنها أخفقت في هذا. سيعرف كيف طلب "نوري السعيد" رئيس وزراء العراق الضوء الأخضر من بريطانيا، وطلب توضيح الأمر لإسرائيل حتى

---

9 الاتحاد العربي في الوثائق البريطانية / المجموعة الوثائقية البريطانية الرسمية الكاملة للاتحاد العربي الهاشمي بين العراق والاردن لعام ١٩٥٨م، مؤيد الونداوي، المركز العربي للابحاث ودراسات السياسات، طبعة بيروت

لا تعتقد أن الاتحاد الهاشمي يقوم ضدها، وجاء الضوء الأخضر من إسرائيل على يد "مايكل رايت" السفير البريطاني في بغداد[10]

الآن بعد أن وضحنا الأحداث التي يقفز عليها من يهاجمون تجربة الوحدة، لأنهم بطبيعة الحال لا يرغبون في عرض صفحة مجيدة مشرقة من صفحات نضال مصر الخمسينيات من أجل استقلال قرارها، نبدأ في الرد على ما يزعمون أنه كان أسبابا لتوتر المجتمع السوري. ومن ثم الانفصال. ولنأخذ هنا مسلسل "صديق العمر" الذي عرض في 2014 مثالا، فقد تلخصت وجهة النظر التي عرضها العمل الدرامي باختزال الأمر في:

أولا: الممارسات القمعية للسيد "عبد الحميد السراج"

ثانيا: قرارات يوليو الاشتراكية وتطبيقها في الإقليم الشمالي

وقبل أن نرد تفصيليا على تلك المزاعم، يتعين علينا – من باب الإنصاف والعرفان – أن نعرف القاريء بالسيد عبد الحميد السراج. بعرض بعض المشاهد من حياة هذا الضابط السوري، والذي استند

---

10 المصدر السابق

العمل الدرامي في عرضه لشخصيته ربما على كتاب كتبه قريب موتور من أقرباء السراج! وبطبيعة الحال لم يكن المقصود هو تشويه السراج نفسه، وإنما تشويه "عبد الناصر" لكون "السراج" كان أحد رجاله المخلصين. ومن خلال تلك المشاهد التي سنعرضها، سوف نفهم معا لماذا كان "السراج" موثوقا عند الزعيم؟

من هو عبد الحميد السراج؟

مشهد (١): مارس (آذار) ١٩٤٨م: الضابط السوري الشاب، والمتخرج حديثا من كلية أركان الحرب في باريس، عبد الحميد السراج، يطلب الإذن من قيادته بالتطوع في "جيش الإنقاذ" للمتطوعين العرب في حرب فلسطين، ويشارك في الحرب بمبادرة شخصية منه.

مشهد (٢): ١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٦م: عبد الحميد السراج يدمر خط أنابيب التابلاين الواصل من العراق للمتوسط عبر سوريا، احتجاجا علي العدوان الثلاثي علي مصر بمبادرة شخصية منه ودون

علم شكري القوتلي رئيس سوريا، وعبد الناصر يرسل له برقيه من كلمتين (سلمت يداك).

مشهد (٣): ٥ مارس (آذار) ١٩٥٨م: يقف "عبد الناصر" خطيبا في دمشق بعد الاستفتاء عليه في مصر وسوريا رئيسا للجمهورية العربية المتحدة، يتحدث الزعيم مشيرا إلى كشف "المقدم ع س" مدير المكتب الثاني (المخابرات السورية) لمؤامرة حيكت لاغتياله في سوريا، وتقويض دولة الوحدة الوليدة بانقلاب عسكري، وكان الثمن خمسة ملايين جنيه إسترليني، سدد منها مليون وتسعمائة ألف جنيه إسترليني مقدما، بصورة شيكات مقبولة الصرف لحاملها على البنك العربي، وبنك ميدلاند بإنجلترا، وقد قام المقدم "ع س" أو "عبد الحميد السراج" بصرفها ثم تقديم قيمتها للدولة، ليكتمل توثيق المؤامرة قبل أن يقدم المستندات الكاملة لعبد الناصر، ليعلنها للعالم في خطابه. ومعها تفاصيل اتصال الملك "سعود" بصهره السوري "أسعد إبراهيم"، والذي اتصل بدوره بالنائب في البرلمان السوري "عزيز عياد"، وكان هو من اتصل بالسراج. في الخطاب وصف "عبد الناصر" المقدم "السراج" بقوله: فيه ناس لا

تملك أي أموال، لكنها تملك الشرف وتملك الكرامة وتؤمن بالشعب وقيمة الشعب. هذا هو الرجل الذي رفض ما قيمته اليوم خمسة وستين مليون جنيه مصري ثمنا لرأس عبد الناصر والوحدة.

مشهد (٤): ٢٢ أغسطس (آب) ١٩٦١م: وصلت للرئيس عبد الناصر أخبار بعض التجاوزات الأمنية من رجال "السراج" فراسله بما نصه "**أنت تعرف رأيي في كثير من إجراءات البوليس في دمشق، و لقد قلت لك أنها في كثير من الأحيان تضر بسمعة الجمهورية أكثر مما تخدم أمنها. والأمور لا تحتاج الوصول إلى هذا المدى الذي يصل إليه بعض رجالك في بعض الأحيان**"، ولهذا اتخذ الرئيس قراره بتعيين السراج نائبا لرئيس الجمهورية لشئون الإقليم الشمالي، ونقله للقاهرة. فقد كان واثقا في وطنيته ولكنه كان مختلفا معه في بعض الممارسات الأمنية.

مشهد (٥): ٢٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٦١م: يستقيل "عبد الحميد السراج" من منصبه كنائب لرئيس الجمهورية العربية المتحدة ، لأن المنصب كان بلا صلاحيات بسبب إلحاح "عبد الحكيم عامر" على

إقصاء السراج، وتعهده لعبد الناصر بالسيطرة على الأمور. وعاد "السراج" إلى دمشق بلا منصب رسمي.

مشهد (٦): ٢٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٦١م: ،وبعد مرور قرابة الشهرين على "السراج" بعيدا عن المشهد، ورغم تحذير السراج المتكرر منه، يقوم عبد الكريم النحلاوي (مدير مكتب المشير "عبد الحكيم عامر" في سوريا، ورئيس شؤون الضباط بتكليف من المشير، وأمين سر وزارة الحربية بتكليف من المشير) بالانقلاب على دولة الوحدة، فقد كان موضع ثقة المشير، والمسئول عن شئون الضباط رسميا، ومن ثم كانت له الكلمة النافذة في الجيش السوري، فاستطاع وضع الضباط الانفصاليين في المواقع الحيوية من الجيش بعد إقصاء "عبدالحميد السراج" عن المشهد.

مشهد (٧): مساء ٢٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٦١، يلقي الانفصاليون القبض على "عبدالحميد السراج" ويودعونه في سجن المزة.

مشهد (٨): إبريل (نيسان) ١٩٦٢ ترسل زوجة "السراج" رسالة إلى الرئيس "عبد الناصر"، تبلغه فيها أن زوجها يتعرض في محبسه لأبشع صنوف التعذيب حتى كاد يفقد بصره. يكلف الرئيس ضابط المخابرات المصرية "محمد نسيم" (اشتهر بقلب الأسد وظهر باسم "نديم" في مسلسل رأفت الهجان) بتهريبه، فيضع نسيم خطة اسمها "جمال" بالتعاون مع الرئيس اللبناني "فؤاد شهاب"، والزعيم اللبناني القومي "كمال جنبلاط" لتهريبه، ويتم تجنيد حارسه "منصور رواشدة" ليهرب معه إلى لبنان ومنها للقاهرة، وتنشر الأهرام في اليوم التالي خبر استقبال الرئيس له.

مشهد (٩): ٢٢ سبتمبر (أيلول) ٢٠١٣م، يتوفى المقدم "عبد الحميد السراج" في القاهرة، والتي عاش فيها منذ الانفصال وحتى وفاته. لم يتكلم أبدا رغم كثرة الهجوم عليه، وبقي دائما رجل المخابرات الحافظ للأسرار.

إذن، فنحن نقر بوجود تجاوزات أمنية قام بها "السراج" ورجاله، ولكنه أبدا لم يكن بتلك الصورة المشوهة التي عرضها المسلسل! فقد كان رجلا

وطنيا وعروبيا بلا جدال! ولو كان "مجنون سلطة" كما أظهره العمل الدرامي، لكان بوسعه التعاون مع الضباط الانفصاليين والحصول على وضع مميز بينهم! وكذلك لا ننفي المسئولية السياسية للزعيم "جمال عبد الناصر" عن قرارات مرؤوسيه، ومنهم "السراج"، فهو بنفسه ألزمنا بهذا المبدأ عندما تحمل "المسئولية كاملة" في يونيو ١٩٦٧م. لكن الأمر لم يكن بتلك الصورة الشوهاء التي عرضها المسلسل، والتي صورت الانفصال بأنه كان رغبة للشعب السوري عبر عنها ضباط جيشه!!

انهيار حلف بغداد وأزمة لبنان

كان الاحتقان الطائفي عنوانا للحياة السياسية في لبنان طوال القرن العشرين، وحتى تعلم الشعب اللبناني حيوية التعايش السلمي بعدما مر بتجربة الحرب الطائفية المريرة. وكانت أزمة لبنان في ١٩٥٨م واحدة من الأزمات الناتجة عن تضارب الولاءات! حيث كان الرئيس اللبناني "كميل شمعون" مواليا للسياسة الغربية، وعميق الاتصال مع دول حلف

بغداد التابعة للغرب! لهذا كانت مواقفه السياسية المخالفة للتيار القومي العربي في لبنان وسوريا منذ العدوان الثلاثي! عشية إعلان الجمهورية العربية المتحدة، كان التيار القومي في لبنان وزعامات مثل "كمال جنبلاط" الزعيم الدرزي القومي، و"رشيد كرامي" الزعيم السني ورئيس الوزراء بعدها، يتخذون موقفا مواليا للوحدة على أقل تقدير، ومطالبا بالانضمام لها أحيانا! في تلك الأجواء ظهر رأي في الشارع السياسي — من الساسة والصحفيين الموارنة تحديدا — يطالب بالتمديد للرئيس "كميل شمعون" لمدة رئاسية ثالثة. وانطلقت الأقلام العروبية تهاجم هذا التيار بضراوة. خاصة بعد إعلان "شمعون" نيته حول تعديل الدستور ليسمح له بولاية ثالثة. وفي ٨ مايو (أيار) اشتعلت فتنة دامية باغتيال الموارنة للصحفي اليساري وصاحب جريدة التلغراف "نسيب المتني"، وكان وقتها نقيبا للمحررين! وباغتياله اشتعل تمرد المناطق المسلمة في لبنان ضد سلطة "كميل شمعون"! واتهم "شمعون" الجمهورية العربية المتحدة بتسليح معارضته ودعمها! وكان أول المتهمين في ذلك السيد "عبد الحميد السراج" بسبب متابعة المكتب الثاني الذي يتولاه في دمشق للشأن اللبناني وتواصله مع بعض الساسة اللبنانيين. ولهذا تقدم

"شمعون" بطلب للأمم المتحدة بإرسال مراقبين دوليين للحدود السورية اللبنانية لمنع تهريب السلاح والرجال عبرها! وكان طلبه مدعوما من دول حلف بغداد، وقرر مجلس الأمن الموافقة على طلبه! كما تقدم بطلب للولايات المتحدة لحماية لبنان! ووافقت أمريكا على طلبه! ووقف "عبد الناصر" خطيبا في القاهرة، في ٢٩ يونيو (حزيران) ١٩٥٨م يقول: "**لبنان طلب قوات أجنبية لإخماد الثورة الشعبية والتنكيل بزعماء المعارضة! المعارضة في لبنان تضم رؤساء جمهورية سابقين ورؤساء وزراء ووزراء خارجية سابقين. اتهموا مصر وسوريا إنهم ورا ثورة لبنان! واستخدم حكام لبنان هذا الادعاء لتوزيع السلاح على أعوانهم**"[11]

في تلك اللحظة الفارقة وقع انهيار حلف بغداد نفسه، فجاءت الرياح بما لم يشتهوا جميعا! فقد ألقى العقيد الركن "عبد السلام عارف" – قومي التوجهات – بيان الثورة، معلنا إلغاء الملكية، وقيام الجمهورية العراقية! في ١٤ يوليو (تموز) ١٩٥٨م! معلنا بذلك وفاة حلف بغداد

---

11 كتاب ثورة عبد الناصر، شوقي عبد الناصر، طبعة الموقف العربي للطباعة والنشر، ص ٢٢٤

رسميا! وهنا فقد الاستعمار صوابه! وتم توجيه بوارج أمريكية لساحل لبنان في ١٥ يوليو (تموز)، لتقوم بعملية إنزال للمارينز في منطقة الأوزاعي جنوب بيروت! ووصلت القوات الأمريكية لقلب بيروت، وطافت الدبابات الأمريكية في شوارعها! وفي نفس اليوم كانت البحرية الملكية البريطانية تقوم بإنزال الجنود في الأردن! لقد جاء الاستعمار بنفسه هذه المرة ليخوض معركة الحفاظ على نفوذه ضد النفوذ القومي الذي دعمته الثورة العراقية أول الأمر، قبل أن تصبح هناك قومية العراق وقومية مصر!![12]. وأصبح السؤال: هل يتدخل الاستعمار عسكريا في العراق؟ هنا وقف "عبد الناصر" في دمشق يعلن موقف الجمهورية العربية المتحدة في حالة التدخل الغربي في العراق! قال في خطابه يوم ١٨ يوليو (تموز)، بعد أن أدان الحكام الذين سمحوا بوجود القوات الأمريكية في لبنان والبريطانية في الأردن: "**إننا نعلن أننا سنحمل السلاح دفاعا عن شعلة الحرية التي انتصرت في العراق**"[13]

---

12 لم يكن اللواء عبد الكريم قاسم قد ظهر في الصدارة بعد، وبالتالي لم يكن تمايز الثورة العراقية عن القومية الناصرية قد اتضح بعد، ولو أن العقيد عبد السلام عارف تصدر القيادة في العراق لوفر عليها وعلى الأمة العربية كلها مرحلة عبد الكريم قاسم بكل ما حملته من مشاكل بعد ذلك

13 المصدر السابق صـ ٢٢٧

وبالرغم من وجود القوات الأمريكية في لبنان، وبفضل جهود الجمهورية العربية المتحدة وتعاونها مع أحرار لبنان، وبفضل جهود السيد "عبد الحميد السراج" نفسه، لم تتم خطة التمديد لكميل شمعون! ولم يتم تعديل الدستور! وتم التوافق على ترشيح الرئيس "فؤاد شهاب" رئيسا للجمهورية، بعد موافقة الجمهورية العربية المتحدة عليه. وانتهت بهذا أزمة صيف ١٩٥٨م في لبنان.

هل كان الشعب السوري ناقما على الوحدة؟

لا!

ربما كانت هناك بعض الإحباطات بسبب توقعات لم تتحقق، ربما كانت أخطاء هنا وهناك! لكن الشعب السوري لم يكن ناقما على الوحدة، والأدلة هي:

(١) البيانات الأولى للانقلاب العسكري الذي قاده "عبد الكريم النحلاوي" مدير مكتب المشير والتي ظلت تؤكد على أنها ليست حركة انفصالية! وإنما هي حركة لتصحيح مسار الوحدة، وأن ولاء ضباطها هو للوحدة والقومية العربية؟ حتى تمكنوا من إحكام سيطرتهم على كافة قطاعات الجيش السوري، فأذاعوا البيان العاشر وما تلاه من بيانات كرست للانفصال!

(٢) قامت مظاهرات حاشدة ضد الانقلاب في حلب واللاذقية، ومظاهرات أقل عددا في دمشق، واضطر قادة الانقلاب بسبب تلك المظاهرات إلى إعلان حظر التجول!!!

(٣) الحركات العسكرية التي قام بها البعثيون فيما بعد، رفعت شعار استعادة الوحدة مع مصر، ولو عرفت أن الوحدة مرفوضة شعبيا لما رفعت هكذا شعار.

(٤) القرارات الاشتراكية لا يمكن أن تثير غضبا جماهيريا، لكنها قطعا تثير نقمة وحنقا بين النخبة الاقتصادية! سواء كانت ممثلة في الإقطاع أو كبار التجار! ولا يمكننا أن نسمي هؤلاء "الشعب السوري" بحال من الأحوال. فلم تكن تلك النخبة عشية الانقلاب على الوحدة تمثل

أكثر من ثلاثة بالمائة من الشعب السوري. صحيح أنها بحكم كونها نخب اقتصادية تملك صوتا أعلى من غيرها، ويمكنها خلق حالة مجتمعية مؤثرة سياسيا، ولكنها أبدا لن تكون حالة شعبوية ثورية على قرارات هي بالأساس في صالح الجماهير!

الأسباب الحقيقية للانفصال

أولا: الأسباب الخارجية:

(١) انتهاء الخطر السياسي الممثل في الأصوات المطالبة داخل سوريا بالانضمام لحلف بغداد، وانتهاء الخطر العسكري التركي. من يقولون اليوم أنها كانت وحدة عاطفية عليهم مراجعة التاريخ ليعرفوا أنها كانت وحدة دفاعية، وربما كان هذا أحد مشاكلها، فبرغم ما حققته الوحدة من إنجاز في كسر حلف بغداد، كان انقضاء مرحلة الخطر السياسي والعسكري المحدق بسوريا في حد ذاته سببا في ضعف قوة انطلاق الوحدة، بانقضاء السبب والدافع الأساسي خلفها.

(٢) نمو معسكر الرجعية العربية بدخول السعودية فيه. فلو كانت السعودية عضوا في الحلف الثلاثي لمواجهة حلف بغداد من قبل، ولو كانت وقفتها في أزمة ١٩٥٧م في سوريا مشرفة، غير أنها مع ميلاد الوحدة العضوية رأت القومية العربية وهي تتحول إلى خطر وجودي يهدد العرش السعودي. لهذا عملت بوضوح ضدها في العلن من خلال الإذاعات الموجهة، وفي السر من خلال المؤامرات! وقد تحدثنا عن المؤامرة مع ميلاد الوحدة، ويبقى أن نذكر دور الملك "سعود" نفسه في أحداث النهاية! الدور الذي كان واضحا قبل الانفصال لكنه تأكد بعد ذلك بسنوات، ففي ٢٠ ديسمبر ١٩٦٦م، بعد خلعه من قبل الأسرة المالكة، وإقامته فترة في أثينا، طلب الملك السابق "سعود" الإذن بالإقامة في القاهرة فأذن عبد الناصر، وأتى "سعود" إلى القاهرة ليقيم في فندق شبرد، ويزور "عبد الناصر" في بيته بمنشية البكري ويرد "عبد الناصر" الزيارة في شبرد في أول يناير ١٩٦٧. سأله "ناصر" لو كان قد أنفق سبعة ملايين جنيه إسترليني لتمويل الانقلاب على الوحدة في

سوريا، فرد "سعود" بأن ما أنفقه كان ١٢ مليونا! وتنشر الأهرام أخبار هذا اللقاء وحوار الرئيس مع الملك المخلوع في اليوم التالي[14].

(٣) كانت حكومة الأردن جاهزة بالمشاركة العسكرية لدعم الانقلاب لو قررت مصر التدخل عسكريا، فقد أعلن الملك "حسين" وقتها أنه حشد جيشه على الحدود السورية استعداد لذلك.

(٤) الحرب النفسية التي أدارتها الرجعية العربية والقوى الغربية ضد دولة الوحدة، والتي استهدفت شخصيات ورموز مثل "عبد الحميد السراج" و"عبد الحكيم عامر" وصولا للرئيس شخصيا! ومازال البعض يرددون أساطير وافتراءات ابتكرتها تلك الجهات. وقد أفرد الأستاذ "هيكل" في كتابه: ما الذي جرى في سوريا؟ فصولا للرد على كل تلك الصغائر.

ثانيا: الأسباب الداخلية:

(١) كان الجيش السوري مسيسا لا على مستوى القيادات وحسب، ولكن على مستوى الضباط وصف الضباط!! بحيث كان لكل حزب وفصيل مجموعات موالية له! وبرغم اشتراط "عبد الناصر" حل

---

14 الأهرام في ٢ يناير ١٩٦٧م، والإشارة المبكرة لتمويل الملك سعود للانفصال دون تحديد المبلغ في مقال "ما أشبه الليلة بالبارحة، محمد حسنين هيكل، الأهرام في ٢٧ أكتوبر ١٩٦١م

الأحزاب، وخروج الضباط المسيسين خلال مفاوضات الوحدة، غير أن هذا كان صعبا في تنفيذه، فاقتصر على ضباط كبار مثل "عفيف البزري" رئيس الأركان الذي خرج لوظيفة مدنية. وبالتالي استمر نفوذ الفصائل السياسية داخل الجيش. واستمر هذا الوضع بعد الانفصال وحتى قبيل الحركة التصحيحية في السبعينات!

(٢) توتر العلاقات مع البعث القومي وعناصره المدنية والعسكرية. كان القوميون البعثيون يرون أنهم دعاة الوحدة وعرابوها، ومن ثم ينبغي أن تكون لهم اليد العليا في الإقليم الشمالي! وكان "عبد الناصر" يرى أن كل السوريين قد اختاروه، وبالتالي عليه ألا يحابي البعثيين. وكان "ميشيل عفلق" و"صلاح البيطار" و"أكرم الحوراني" قد طالبوا بمجلس رئاسي يتكون من ثلاثتهم بالإضافة لثلاثة من مجلس قيادة الثورة في مصر. ورفض "عبد الناصر" الاقتراح لأنه أغفل كل الأطياف السياسية عدا البعث. وهو ما أدى لانقلاب هؤلاء جميعا على الوحدة فيما بعد، ومعهم الضباط البعثيين.

(٣) كان التوازن السكاني بين الإقليمين صعبا، فكان سكان مصر وقتها ٢٦ مليونا مقابل ٤ ملايين سوري! لهذا السبب استعانت الدولة

ببعض الخبرات المصرية في عملية تطوير سوريا، وكان في مقدمة الفئات التي بعثت لسوريا الأطباء والمهندسين والمعلمين! أما قول قيادات الانقلاب بأنها كانت عملية "احتلال" لسوريا، وأن مصر كانت تشغل العاطلين فيها بسوريا، فيكفي فيها الإقرار بالحقيقة الثابتة من سجلات الدولة والتي تقول بأن هؤلاء كانوا يحصلون على رواتبهم من مصر!!

(٤) لعبت قوانين يوليو الاشتراكية دورا، ولكن دورها لم يكن في تأليب الشارع على الوحدة! ببساطة لأن رجل الشارع هو المستفيد منها! لكنها ألبت شبكات المصالح ومن ثم من تتصل بهم تلك الشبكات داخل الجيش!

(٥) ترجيح الرئيس "عبد الناصر" كفة المشير في صراعه مع "السراج"، ليس لأن "السراج" صار يؤلب الناس في سوريا بعضها كما افترى البعض، ولكن لأن المشير كان كعادته يتأثر كثيرا بالحب والبغض للأشخاص، وكان يشخصن الصراعات. لهذا غض الطرف عن مؤامرة مدير مكتبه "عبد الكريم النحلاوي" الذي قاد الانقلاب ضده في النهاية، فقط لأن "النحلاوي" كان من رجاله!! ولأن التقارير التي تقول بتآمره كانت من "السراج" ورجاله!

(٦) قرارات المشير "عبد الحكيم عامر" في ١٨ سبتمبر ١٩٦١م، حيث قرر "عامر" تغيير العقيد "مروان السباعي" مدير الأمن العام، وتقييد عمل المكاتب الخاصة لوزارة الداخلية، وتقييد الاعتقال بأمر قضائي. فلو كانت هناك تجاوزات ارتكبها "السراج" ورجاله، فالتعامل معها لا يكون بهذا الأسلوب الانتقامي والمفاجيء والذي ترتب عليه إفلات الأوضاع خلال أقل من أسبوعين!

كان هناك الكثير من الأخطاء الصغيرة، سواء من الإدارة المصرية أو السورية أو الساسة في البلدين، ولكننا نراها طبيعية في سياق التجربة العربية الأولى للوحدة، وفي سنواتها الأولى التي لم تترك لتنضج، لكننا لا نراها عاملا مؤثرا في الانفصال، لأنها أولا طبيعية في سياقها، ولأنها ثانيا لم تؤدي إلى سخط الشعبين المصري والسوري على الوحدة كما أسلفنا!

هل كان كسر التمرد العسكري ممكنا؟

كان هناك ضباط مصريون ضمن الجيش السوري والعكس، وكان "عبد الناصر" مهموما عند وقوع الانقلاب بتأمين عودة هؤلاء الضباط لمصر سالمين، فضلا عن تأمين عودة المشير "عامر" والقيادات السورية الموالية للوحدة. لهذا أشرف بنفسه على الإعداد لعمل عسكري لو تجاوز قادة الانقلاب في حق هؤلاء أو شكلوا خطرا على سلامتهم. فبعد ساعات من وقوع الانقلاب، كانت فرقة مظلات مصرية من جنود الصاعقة تستعد للهبوط في اللاذقية وحولها، وكان هدف الفرقة هو السيطرة على ميناء اللاذقية تمهيدا لدخول قطع الأسطول المصري وعليها فرقتين بالسلاح والعتاد قوامهما ٣٥ ألف جندي! كانت هذه استعدادات مترقبة لتطورات الوضع. وكانت هناك فرق من الجيش الأول للجمهورية العربية المتحدة (الجيش السوري) ترسل إشارات للقاهرة تطلب المدد لمواجهة التمرد! كانت معظم قوات الجيش في شمال سوريا ضد الانقلاب! لكن الرئيس حين تأكد من سلامة الضباط المصريين أصدر أمره بوقف العملية العسكرية بالكامل[15]، وقال لمن عارضوه في وقفها عبارته العبقرية "الوحدة مش بالسلاح". لم يكن هناك تردد إذن بين

---

15 الأهرام، عدد ٦ أكتوبر ١٩٦١م

استخدام القوة ثم العدول عنها مثلما زعم البعض! والسؤال هنا: هل كان من الممكن كسر التمرد عسكريا؟ من يعرف معايير القوة والتسليح في الجيشين المصري والسوري في مطلع الستينيات يعرف أن الإجابة "نعم". لكن السؤال يبقى؛ بأي ثمن؟ الثمن هو إهدار الدم العربي بالسلاح العربي! وهو الأمر الذي رفضه "عبد الناصر" دائما. على من يدعون أن "عبد الناصر" خاض حروبا من أجل مجده الشخصي أن يتأملوا ذلك الموقف جيدا! موقف الزعيم وهو يقبل بجرح الانفصال ويضحي بمجده الشخصي حفاظا على الدم العربي، وعلى سلامة القوات العربية، مصرية كانت أم سورية!

من هو عبد الكريم النحلاوي؟

تلك الصورة الجميلة والوطنية التي يزعمها البعض اليوم لقائد الانقلاب، الضابط السوري "عبد الكريم النحلاوي"، هي من أكثر ما يستفزني في الهجوم على تجربة الوحدة! أكرر ثانية مثال مسلسل "صديق العمر"!

ويبدو أن السينارست "أحمد ناير" قد اعتمد على ما رواه "النحلاوي" نفسه في برنامج "شاهد على العصر"، مع المذيع الإخواني "أحمد منصور" على قناة الجزيرة!! ومن المؤكد أن اسم "أحمد منصور" واسم "قناة الجزيرة القطرية" يعنيان لك الكثير عزيزي القاريء!! ولكن دعني أزيدك من الشعر بيتا!! هناك في سوريا من يقول بأن "النحلاوي" نفسه كانت له ميول وصلات إخوانية، وإن لم يمكنني تأكيد تلك المعلومة أو نفيها! في كل الأحوال، وسواء كان أو لم يكن، فهو والإخوان في خصومة "عبد الناصر" سواء! لهذا بحثوا عنه في الظلال، ليخرجوه من كهفه الذي توارى فيه بعد أن أخرج من سوريا رغم أنفه بعد انقلابه بعام ونصف العام! ويسلطوا عليه الضوء! ولعل السيناريست الذي أعد المسلسل لم يسمع ردود العقيد الركن السوري "جاسم علوان" على أكاذيب "النحلاوي"، والتي سجلها "علوان" في حينه! ولكن يبقى مريبا وغريبا أن يقدم عمل درامي مصري خاصة وعربي عامة، قائد الانقلاب على الوحدة العربية بتلك الصورة الوطنية، السمحة واللطيفة التي قدمها المسلسل! ولكن ماذا نقول؟ أليس الغرض مرضا؟؟

عبد الناصر يرد على أكاذيب صديق العمر

كما قلنا من قبل، عرض المسلسل وجهة نظر المتآمرين على الوحدة مع سوريا ولم يعرض وجهة نظر مصر في الرد على كل الأكاذيب! وأبلغ رد أن نعرض على القاريء ما قاله الرئيس "جمال عبد الناصر" في خطابه يوم ٥ أكتوبر ١٩٦١م[16]؛

تعرضنا لحملة مسعورة من الأكاذيب والتضليل والخداع. أنا استمع لإذاعة دمشق كل يوم بالليل. إذاعة دمشق اللي كانت صوت الحرية، صوت القومية، صوت العرب .. كل العرب! باسمع دمشق ومش مصدق وداني! الافتراءات والاتهامات! السباب والشتيمة!

ولهذا، فسوف نطلب من جامعة الدول العربية أن تشكل على الفور لجنة تحقيق فيما يلي:

---

16 الخطاب نقلا عن كتاب ثورة عبد الناصر صـ ٣٣٥ نقلا عن الإذاعة المصرية

(١) تتحقق إن كل احتياطي الذهب وغطاء العملة السورية موجود بكامله – كما كان قبل الوحدة – في البنك المركزي في دمشق!

(٢) تتأكد إن الخزينة السورية تلقت نقدا من الخزينة المصرية – غداة الوحدة – ما قيمته تلتاشر ونصف مليون ليرة لمواجهة العجز في الميزانية السورية في السنة السابقة للوحدة.

(٣) تتأكد إن الإقليم المصري كان يقدم كل سنة للإقليم السوري ما قيمته ٣ ملايين جنيه لخدمة أعمال البناء والتقدم

(٤) تتأكد إن الإقليم المصري قدم خلال فترة الوحدة ما قيمته ٩ ملايين جنيه إسترليني لمطالب الاستيراد

(٥) تتأكد اللجنة أن إتمام الوحدة خفض موازنة الدفاع في سوريا بما قيمته ٤٠ مليون ليرة سورية

(٦) أن تتحقق اللجنة أن عدد المعتقلين في الإقليم السوري لم يتجاوز ٩٥ معتقلا.

(٧) أن تتحقق أن قوة المظلات التي هبطت في اللاذقية ليلة الانفصال كانت تحمل تعليمات بعدم إطلاق النار. ومكانش معاها

ملايين الليرات المزيفة زي ما ادعت عناصر الانفصال، وإنما كان معاها بضعة آلاف من الليرات السورية الصحيحة.

(٨) أن الاقليم المصري كان يتحمل رواتب ونفقات الموظفين المصريين في سوريا، وأن أحدا لم يذهب لسوريا إلا ليساهم في البناء.

وسؤالي هنا لصناع المسلسل، لو كان ما وقعوا فيه ناتجا عن الخطأ وليس التضليل المتعمد، لماذا لم تعرضوا هذا الخطاب؟ ولماذا لم تعرضوا خطاب ليلة الانفصال نفسه كاملا؟ لأنه يقشع ما صنعتم من أكاذيب في عشر حلقات كما يقشع نور الشمس جيوش الظلام!!

كلمة أخيرة عن الوحدة

بدعة جديدة من بدع تيار اليمين الديني، وهي مقارنة القومية العربية بتيارات الإسلام السياسي الداعية للخلافة، من حيث دعوة كل منهما (برأيهم) إلى انتماء أوسع من الانتماء الوطني. والحق أن هذا التشبيه الظاهري معتل تماما، كما شبه اليهود البيع بالربا لأن الربح قاسم مشترك

بينهما! كما في قوله تعالى "ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا". ونراه تشبيها سطحيا، للبون الشاسع بين الفكرتين والذي نحصره في عدة نقاط؛

(١) القومية العربية واقع حضاري تعيشه شعوب الوطن العربي دون تكلف أو إكراه، من حيث مشتركات اللغة والثقافة والعادات والتقاليد. بينما تؤسس الخلافة على المشترك الديني وحده، وغني عن الذكر أن المنطقة العربية ليست إسلامية بالكامل، وحتى المسلمون بها على مذاهب مختلفة بعضها لا يعترف بالخلافة، وحتى من ينتمون لمذاهب تعترف بالخلافة التاريخية ليسوا في معظمهم مؤيدين لكون الخلافة جزء من المعتقد الديني، ولا معتقدين بأن الإسلام جاء بنظام محدد للحكم.

(٢) القومية العربية عامة، والقومية الناصرية تحديدا هي إطار تعاون إستراتيجي مستقبلي لشعوب المنطقة، بينما الخلافة المزعومة دعوة ماضوية تقوم على الارتداد الفكري لمرحلة تاريخية غابرة والتمسك بها.

(٣) الانتماء العروبي هو امتداد للانتماء القطري ومترتب عليه، وليس متعارضا معه أو متمايزا عنه! فلا يمكن أن تكون عربي بغير أن تكون مصري أو سوري أو تونسي ... الخ. ولهذا فالقومية هي امتداد وتعميق

لفكرة المواطنة بمد الخط لآخره. أما الانتماء للدين فلا علاقة له بالمواطنة. والفكر القومي لهذا يحترم الانتماء القطري، بينما الفكر المتأسلم لا يحترم الوطن ويراه حفنة من تراب عفن!!

(٤) الانتماء الوطني ومن ثم القومي ثابت لا يمكنك تغييره، فأنت تولد مصريا عربيا ولا يمكنك تغيير ذلك، حتى لو غيرت جنسيتك بقيت هويتك عربية، بينما يمكن تغيير الدين بالاختيار الحر.

الوفد العسكري السوري مع عبد الناصر وعبد الحكيم عامر

شعار الجمهورية العربية المتحدة

عشرة قروش من عملة الجمهورية العربية المتحدة

طابع بريدي

ناصر والقواتلي يوقعان ميثاق الوحدة

عبد الناصر في دمشق

المساء

اعلان الوحدة بين العراق والاردن

فيصل ملك العراق رئيسا لاتحاد الدولتين الهاشميتين

الوحدة العربية

الاتحاد الهاشمي الذي لم يستمر لأكثر من خمسة شهور